مواجهة أزمة الطاقة بالسياسة والعلم.. لا بالقوة!

محمود عبد المنعم مراد

أكتوبر

فى مساء الاثنين الماضى ، اختتم اجتماع القمة للدول الصناعية الغربية السبع الكبرى ، الذى عقد فى البندقية بايطاليا ، وحضره رؤساء الولايات المتحدة وكندا واليابان ، وبريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربية وايطاليا . وبجانب مشكلات سياسية راهنة جرى بحثها ، كالاحتلال السوفيتى لأفغانستان ، والرهائن الأمريكيين فى ايران ، كان البند الأول والأهم الذى تناقش فيه المجتمعون ، هو مواجهة أزمة الطاقة ، والارتفاع الهائل المتزايد لأسعار البترول . ويقول الناس إن هذا المؤتمر الأخير ، كان أنجح مؤتمر دولى مماثل . فقد اتفقت فيه الآراء حول هذه المشكلة الكبرى اتفاقا تاما ، رغم كل ما يشوب العلاقات بين المجتمعين من اختلاف فى وجهات النظر ، أو تنافس على أسواق العالم .

وكان هذا جديرا بأن يحدث . فأزمة الطاقة وارتفاع أسعار البترول ، أصبحت هى الشغل الشاغل لكل سكان الأرض ، وبخاصة الدول الصناعية التى تعتمد على النفط فى حياتها اليومية ، وفى نشاطها الصناعى بجميع أشكاله . وهى السبب فى التضخم ، وارتفاع الأسعار بشكل عام ، وفى ارتفاع نسبة البطالة ، وتهديد الحياة الاقتصادية العالمية كلها بالخطر . وقد ذكرت مسز تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا ، ان أسعار البترول زادت فى العام الأخير وحده مائة فى المائة ، فهل من المعقول أن يستمر الحال على هذا المنوال . .. وإلى أين يتجه العالم لو بقيت الأمور هكذا ؟ وسكان العالم الثالث ، الذين لا هم من منتجى البترول ومصدريه ، ولا هم من المتقدمين فى الصناعة وانتاج السلع المصنوعة ، يعانون أكثر من غيرهم من رفع أسعار البترول ، وبالتالى رفع أسعار جميع المنتجات الصناعية ، والزراعية أيضا . انهم مستهلكون ، وهم يدفعون فى السلعة اليوم ، ما كانوا يدفعون نصفه منذ عام ، وليس هناك ما يعوضهم عن هذه الزيادة الفاحشة ، وهذا لم يعد من قبيل التشاؤم أو المبالغة أن يقال ان نسبة كبيرة من سكان العالم الثالث تشكو الآن من الجوع ، وتهدد حياتها بالفناء ، لأنها لا تجد ما تأكله .

ويبدو أن عصر استخدام القوة – فى عالم الغرب على الأقل – قد انتهى . لأن الحرب الآن ، اذا كانت حربا كبرى ، تعنى فناء العالم . ونحن لا نريد أن نموت ، ولكنا نريد أن نحيا حياة أقل مشقة ، وأكثر رخاء . وهذا لم يكن البحث يدور حول استيلاء الدول السبع الكبرى على منابع الزيت بالقوة ، ولا حتى التهديد باستخدامها .

صحيح أن الزعماء السبعة وجهوا قدرا كبيرا من النقد اللاذع للدول المصدرة للبترول ، ولكنهم لم يلجأوا إلى الوعيد ، أو التهديد باستخدام السلاح . بل اتفق الزعماء على أن يواجهوا المشكلة بأنفسهم ، بأن يتعهدوا جميعا بالحد من استخدام النفط خلال السنوات العشر القادمة ، والبحث عن بدائل كالفحم والمحطات النووية التى تقوم بإنتاج الكهرباء ، وفى مقدورهم أن يصل تخفيض المستهلك لديهم من النفط عند تنفيذ هذه الخطة ، إلى عشرة فى المائة من الاستهلاك الحالى . وهى نسبة وان كانت تبدو قليلة ، فإنها كافية لتثبيت أسعار النفط ، ومواجهة الدول المصدرة للبترول . التى أصبحت موضعا للوم جميع الأطراف المعنية من سكان العالم .

والقرار الإيجابى الثانى الذى اتخذه زعماء الدول السبع ، هو لفتة نحو أحوال العالم الثالث الفقير ، الذى يعانى أشد المعاناة فى ظل ظروف الاقتصاد العالمى القاسية الراهنة . وقد قرروا أن يزيدوا من معوناتهم للدول الفقيرة ، لحثها على استنباط ما لديها من موارد نفطية وثروة غذائية ، نباتية وحيوانية . وليس الدافع إلى هذه اللفتة دافعا انسانيا فى المقام الأول ، ولكنه دافع سياسى واقتصادى قبل كل شىء آخر .

لقد بلغ العجز فى ميزان المدفوعات الأمريكى خلال الربع الأول من العام الحالى ، مبلغ ٢٥٧٠ مليون دولار وهو مالم يحدث منذ منتصف عام ١٩٧٨ . وقد فسر المسئولون الأمريكيون حدوث هذا العجز الكبير بأنه نتيجة مباشرة لاستمرار الارتفاع فى أسعار البترول ، مما يهدد بالركود فى قطاعات اقتصادية أساسية ، وارتفاع نسب البطالة وهبوط مبيعات السلع الاستهلاكية . وما ينطبق على أمريكا ، ينطبق على زميلاتها فى الدول الصناعية الغربية . وهكذا كان لابد من اجتماع للقمة ، وكان لابد من الاتفاق الكامل بين الأعضاء حول الاجراءات الكفيلة بمواجهة هذا الخطر .

أما الدول المصدرة للبترول ، فلم يحدث أن اجتمعت واتفقت على خطة موحدة . ومن الآن . سوف تكون المواجهة بينها ، مختلفة مشتتة قصيرة النظر ، وبين أرقى وأعظم دول العالم . متحدة متماسكة ، تخطط خطتها بالسياسة والعلم والدراسة .

ومثل هذه المواجهة ، يمكن ان تكون من الآن معروفة النتائج .

الانسحاب الجزئى

وفى أثناء انعقاد القمة السباعية الغربية فى مدينة البندقية ، أطلق الاتحاد السوفيتى قنبلة ضعيفة المفعول ، أراد بها أن يحدث فرقة فى صفوف الرؤساء السبعة . فقد حدث فجأة أن أعلن الروس قيامهم بانسحاب جزئى من أفغانستان ، قدره الخبراء بأنه يمثل عشرة فى المائة من قواتهم الموجودة هناك .

وقد حدث فعلا خلاف فى وجهات النظر بشأن هذه الخطوة ، فقد قال ديستان ، وهو القنطرة الجديدة بين الشرق والغرب ، إنها ينبغى أن تحظى بالتأييد ، وتعتبر خطوة ايجابية طيبة . بينما قال كارتر ان هذا الانسحاب الجزئى لا يمكن أن تكون له قيمة ، الا اذا اعلن الروس انه مقدمة للانسحاب التام الكامل . وهذا مالم يقله الروس ، ولم يشيروا اليه ، بل على العكس ، قالوا ان هذا الانسحاب نتيجة لاستقرار الأحوال فى أفغانستان ، تحت السيطرة الروسية طبعا .

وعلى أية حال فقد مرت القنبلة بلا دوى على الاطلاق . فليس هناك فرق بين أن يكون للروس تسعون ألف جندى فى أفغانستان ، وبين أن يكون لهم مائة ألف . ثم أين هو الضمان الذى يكفل عدم ارسال قوات بديلة فى المستقبل . لتلك التى عادت ادراجها إلى الأرض السوفيتية ؟ . ان الاحتلال قائم ، والمشكلة لم تحل ، وردود الفعل ازاءها متضاربة ، وللأسف الشديد ، نراها أكثر تضاربا فى عالمنا العربى والإسلامى بصفة عامة .

وقد كرر زعماء المقاومة الأفغانية أنهم فى حاجة إلى السلاح ، وأن الدولة الوحيدة التى تمدهم

مارجريت تاتشر
اسعار البترول
زادت ١٠٠٪

بهذا السلاح هى مصر ، ومصر معلقة العضوية فى المؤتمر الإسلامى ، أما أعضاء المؤتمر فهم منقسمون على أنفسهم بين مشجع للاحتلال الروسى وبين رافض له رفضا كلاميا ، ولا شىء غير ذلك . وتلك هى أضحوكة العالم الحديث . ومثار السخرية فى صفوف المسلمين قاطبة .

ولكن ما الحيلة ، وزعماء دول الرفض والقمون تحت قبضة موسكو ، كما يقع تحتها السيد كارميل ، الذى يفكر الآن فى الانتحار خلاصا من المأزق الذى وضعه فيه الروس أسياده .

ولن تحل المشكلة بالسياسة . ولكنها تحل بالمقاومة المسلحة ، وسوف يتمرغ الروس فى المستنقع الأفغانى طويلا ، ثم ينسحبون بملابسهم الملوثة بالطين ، ووجوههم المحمرة بالخجل وستظل مصر واقفة فى صف مسلمى أفغانستان ، بالرغم من قرارات المؤتمر الاسلامى المخجلة !

لماذا العجلة ؟

أظنه من التكرار الممل ، أن أحصى هنا ما تفعله حكومة السيد مناحم بيجين ، من اجراءات وتصريحات كفيلة بعرقلة أية مفاوضات بشأن الحكم الذاتى الفلسطينى .

لما يمر يوم واحد ، الا تطالعنا الأنباء باستفزاز جديد ، وخرق لكل اتفاق ، وأعمال عنف ضد الفلسطينيين فى الأرض المحتلة ، وانتهاك للقرارات الأمم المتحدة بشأن اقامة المستوطنات ، ووضع مدينة القدس ، وسوء معاملة الأهالى سواء فى داخل سجون اسرائيل أو فى خارجها . ولا يكف قادة العالم عن التنديد بذلك كله ، ابتداء من الحليفة الأولى لاسرائيل ، وهى أمريكا ، ومرورا بقداسة بابا الفاتيكان ، والأمين العام للأمم المتحدة ، وقادة دول السوق الأوربية المشتركة . ناهيك بردود الفعل المتتالية فى أرجاء العالم العربى والاسلامى بأسره .

وأظنه أيضا من التكرار الممل أن أقول ان حكومة السيد بيجين ، تهتز فى الآونة الأخيرة ، اهتزازا شديدا . فالوزارة غير منجانسة ، والأزمات تهددها بين يوم وآخر ، وأغلبيتها البرلمانية فى الكنيست أصبحت لا تزيد على ثلاثة أعضاء ، يمكن أن يتخلوا هم أو أكثر منهم عن تأييدهم بالوزارة فى أية لحظة .

وبرغم العلاقات الوطيدة التقليدية بين اسرائيل وأمريكا ، فقد أفلح السيد بيجين فى أن تصبح هذه العلاقات أقل متانة وصفاء من أى وقت مضى . ودول الغرب الأوروبية لم تعد تقف فى صف اسرائيل كما كانت منذ سنوات خلت .

وكل هذا مجتمعا ، يجعلنا نتساءل : لم العجلة فى استئناف مفاوضات الحكم الذاتى الفلسطينى . مادام السيد بيجين يحتل مقعده فى رئاسة الوزارة ، بل يريد أن ينقل هذا المقعد الى القدس الشرقية ؟ أليس من الأفضل أن نتريث حتى تبلغ الأمور مداها ، ويقع ما لابد منه وهو أن تستقيل الوزارة الحالية ، وتجرى انتخابات جديدة ، وتأتى بوزارة تمثل الرأى العام الاسرائيلى أكثر مما تمثله حكومة السيد بيجين الآن ، وهى تسير بمجرد القصور الذاتى ؟ هل من المعقول أن نصدق أن حكومة السيد بيجين تمثل فعلا رأى أغلبية الشعب الاسرائيلى بعد ما طرأت المتغيرات الأخيرة ، منذ مبادرة السلام حتى الآن . لا أظن أن السيد بيجين نفسه يعتقد ذلك . فالأولى اذن أن نتفاهم مع الممثلين الحقيقيين للرأى العام الاسرائيلى الجديد ، الذى ظهرت فيه حركة السلام الآن ، والذى أصبح يؤمن بأن السلام مع العرب أجدى على اسرائيل

ومهما يكن الأمر ، فإن ذلك سوف يحدث حتما ، سواء انتظرنا حدوثه أو لم ننتظر . وسنواجه عما قريب بواقع جديد ، ووجوه جديدة ، ورغم كل ما يقال من أن الاسرائيليين هم اسرائيليون ، سواء كانوا من كتلة ليكود ، أو من حزب العمل ، أو من غيرهما ، فإن هناك فروقا نسبية لا يمكن انكارها . وما نراه الآن من تغيرات فى المسرح السياسى الاسرائيلى نفسه ، لم يكن يخطر لنا على بال ، قبل مبادرة السلام واتفاقيات كامب دافيد ، فلعل المستقبل القريب يأتى بجديد ، يشد من أزر العقول المرنة المتفهمة للمتغيرات الدولية ، بل للمصالح الاسرائيلية نفسها .

وأعود فأقول متسائلا : لم العجلة ؟ كل آت قريب . وسوف نشهد ما لم يكن فى الحسبان . قريبا جدا باذن الله !

مترو الأنفاق

كم أسعدنى أن اقرأ عن الإجراءات التى تتخذ الآن لتنفيذ المرحلة الأولى من مترو الأنفاق . وسعادتى بذلك ، ليس مرجعها الى زحام المواصلات

بابريك كارميل الرجل الذى وقع تحت قبضة موسكو

وتعطل حركة المرور مما نشكو منه جميعا . ولكنى فى الواقع أتوق إلى أن أعيش حتى أرى وسائل التكنولوجيا الحديثة .

وقد استطاعت أن تفتح بطن القاهرة ، وتخرج أمعاءها من أسلاك ومواسير ومياه جوفية وطمى . لتبنى مكانها مترا كبيرا واسعا عاليا يجرى فيه المترو ، وتمتد فيه الكهرباء ووسائل التهوية وتبنى فيه المحطات وتوضع اللافتات والملصقات الاعلانية ، أود أن أعرف كيف يسير العمل فى مثل هذا المشروع ، وكيف يحفر وسط المدينة المكتظة بالناس ووسائل الركوب والنقل المختلفة . صحيح أننا بقدرتنا الذاتية ، استطعنا أن نقيم عددا من الكبارى العلوية ، ومن أبرزها كوبرى ٦ أكتوبر . ولكنها كبارى علوية لا سفلية . وصحيح أننا حفرنا نفق الشهيد أحمد حمدى ، وهو لا يجرى فى باطن الأرض ، بل تحت الماء أيضا . ولكن النفق يقع فى منطقة غير آهلة بالسكان ، ولا تعوقها العمارات والأبنية وما يستلزمها من وسائل النقل والحركة المستمرة .

أما الحفر فى وسط القاهرة ، فذلك هو ما أتطلع إليه ، وخاصة أننا عندما نحفر قناة صغيرة فى أحد الأرصفة ، يمر فيها سلك التليفونات أو الكهرباء أو ماسورة المياه أو الصرف الصحى ، تنقلب الدنيا رأسا على عقب ، ويتعطل المرور ، وتتكدس المخلفات الناتجة عن الحفر ، ويزأر الناس بالشكوى . هذا من حفر قناة قد يبلغ عرضها مترا واحدا ، وعمقها ثلاثة أمتار على الأكثر .

أما مترو الأنفاق ، فى مرحلته الأولى الممتدة من باب اللوق إلى كوبرى الليمون ، فسوف يكون عرضه لا يقل عن عشرة أمتار ، ولا يقل عمقه عن خمسة عشر أو عشرين مترا . فكيف يمكن العمل وسط هذا الزحام ، وكيف يمكن التوفيق بين تنفيذ هذا المشروع الكبير ، وبين أن تجرى الأمور وسط القاهرة مجراها العادى برغم ما يتطلبه التنفيذ من معوقات ضخمة . هنا تكمن أسرار التكنولوجيا الحديثة ، وما أظنها ستعجز عن التنفيذ ، وهى التى قامت منذ عشرات السنين بمثل هذا العمل الجبار ، فى باريس ولندن وغيرهما .

وحبذا لو بدأ المشروع فى أسرع وقت ممكن ، قبل أن تزيد النفقات وترتفع الأسعار يوما بعد يوم ، فلا نستطيع اللحاق بها .

ومرحبا بمشروعات الاقتحام الطموح ، ومرحبا بالتكنولوجيا الحديثة ، التى نتطلع الى تعلمها والتدريب عليها ، ليأتى علينا الدور فنقوم نحن بالتنفيذ ، فى مصر ، وفى غيرها من سائر بلاد العالم .

تنسى وليامز

منذ أيام ، قرر الرئيس كارتر منح أربعة عشر شخصا أمريكيا ، أعلى وسام فى الدولة ، وهو وسام استحدثه الرئيس الأسبق ترومان وسماه وسام الحرية . وهو يمنح للمبرزين الكبار من الأمريكيين فى شتى ميادين العلم والفن وغيرهما وكان من بين الأسماء التى استوقفتنى فى قائمة هذا العام ، اسم الممثل الراحل جون وين ، واسم المؤلف الروائى المسرحى السيمائى الكبير تنسى وليامز .

والكاتب الأمريكى الكبير ، يناهز الآن السبعين من عمره ، فهو اذن من جيل الكتاب الأمريكيين المخضرمين ، الذين يتقدمهم هو وولتر اتج وآرثر ميللر . واذا استطاع كاتب مسرحى أن يبرز فى أمريكا ، فلابد أن يكون مبدعا خلاقا فريدا فى عبقريته ونبوغه . ذلك ان الكاتب المسرحى الأمريكى ، ليس من اليسير عليه أن يرضى جماهير المتفرجين ، فى بلد حديث التكوين ، متعدد الأصول والعروق ، متباين الطبقات ، متفاوت الثقافات ، متغير المزاج مع تغير أحوال العالم السياسية والاقتصادية والثقافية . ثم ان عملية انتاج العمل المسرحى ، تتكلف هناك أموالا باهظة ، ولا يمكن لمنتج مسرحى أن يقدم على عرض احدى المسرحيات ، وينفق عليها ملايين الدولارات ، الا اذ كان مؤلفها عملاقا .

وقد منح تنسى وليامز جائزة بولتزر مرتين ، فى عامى ١٩٤٨ و ١٩٥٥ كما منح جائزة جمعية النقاد والمسرحيين فى نيويورك أربع مرات ، فيما بين عامى ١٩٤٤ و ١٩٦١ . ومن مؤلفاته الشهيرة التى يعرفها كثيرون من القراء العرب ، الحيوانات الزجاجية ، وعربة اسمها اللذة ، والصيف والدخان ، ووشم الوردة ، وقطة فرق سطح من الصفيح الساخن ، وطائر الشباب الجميل ، وقطار اللذ لن يتوقف هنا بعد ذلك ، الى آخر الأعمال الشهيرة التى غمرت الأسواق كتبا مطبوعة ، وأمتعت ملايين المشاهدين على مسارح برود واى ، وملايين غيرهم بعد أن أخرجت روايات للسينما .

جون واين .. منحة كارتر أعلى وسام